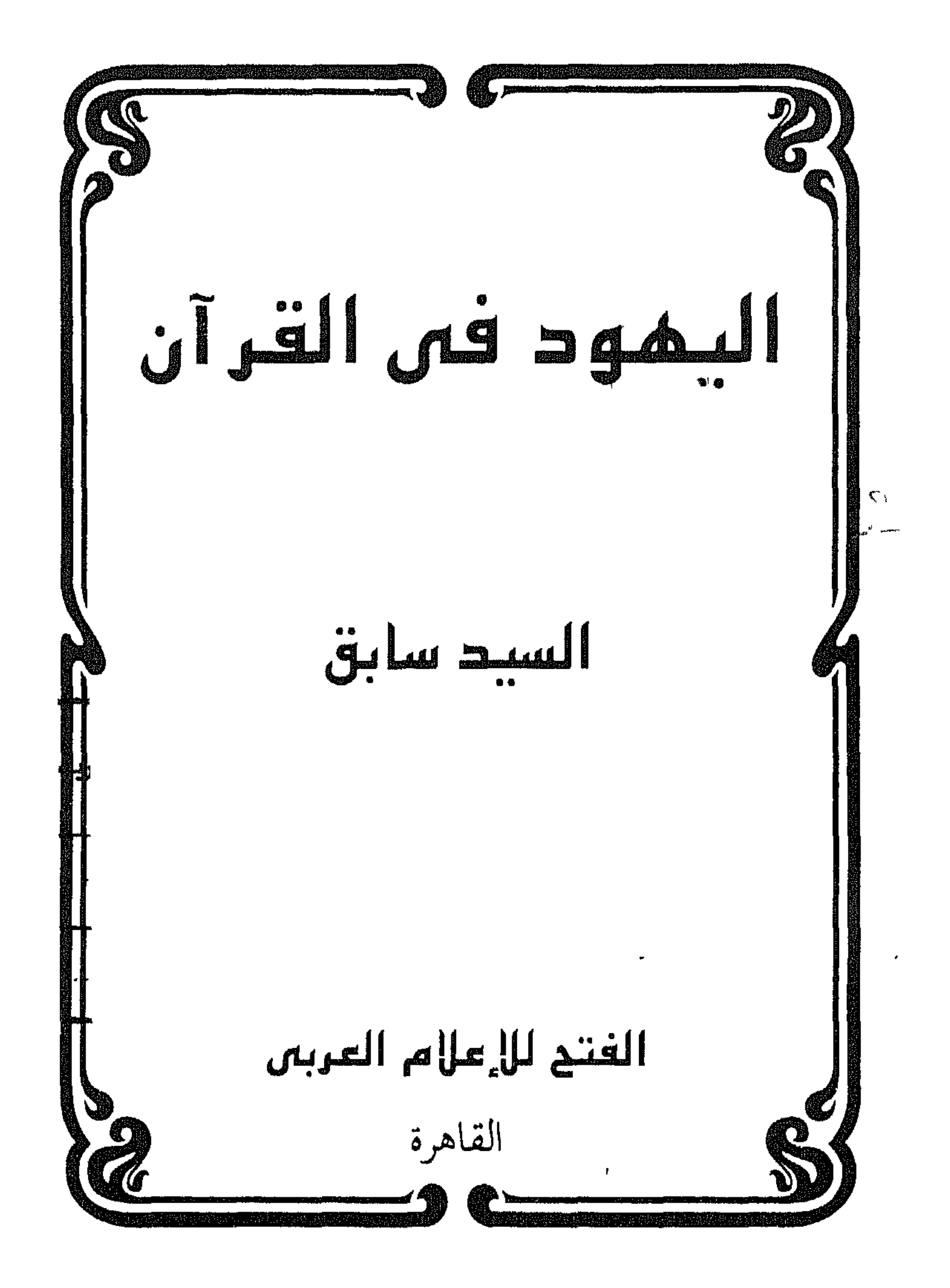

قرآن كريم
اليهود فى القرآن
السيد سابق
عفاف عامر
الفتح للإعلام العربى
القاهرة
Bibliotheca Alexandrina
0126983
297



اليهود فى القرآن

السيد سابق

الفتح للإعلام العربى

القاهرة

«جميع الحقوق محفوظة للناشر»

الطبعة الرابعة

١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر

دار الفتح للإعلام العربى

٣٢ ش الفلكى - باب اللوق

ت : ٣٥٥١٠٧٣ فاكس: ٢٦٠٦٦٧٥

تمهيد

إن الإسلام احترم اليهودية كدين سماوي أوحى به الله إلى موسى عليه السلام ، ليخرج بنى إسرائيل من الظلمات إلى النور ، وليصل بهم إلى المستوى الإنسانى الرفيع .

ولكن بنى إسرائيل – باستثناء عدد قليل منهم – لم ينهضوا بهذا الدين ، ولم يقيموا تعاليمه ، بل كان موقفهم منه دائماً موقف المتأبي عن الحق المعارض له .

ومن ثم ذمهم القرآن كما ذمتهم التوراة والإنجيل ، وسجل الله عليهم ذلك ليتقى الناس شرهم من جهة ،وليكونوا عبرة لغيرهم من جهة أخرى .

وكانت مواقفهم هذه بارزة فى عهد موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم جميعاً .

وهذه المواقف كشفت عن الكثير جوائرهم وجرائمهم ، وأبانت عن خبث طبيعتهم وسوء طويتهم ، وقضت على الخرافة التى يؤمنون بها من أنهم شعب الله المختار ، وكانت شرورهم

ومفاسدهم موزعة فى الجهات التي يعيشون فيها .

وأما وقد تجمعوا أخيراً فى دولة إسرائيل ، وأرادوا من وراء تجمعهم هذا أن يضربوا العالم العربى الضربة القاضية ، ثم يتخذوا منه نقطة الانطلاق للاستيلاء على العالم كله – كان من الواجب التنبيه إلى خطورة هذا التجمع .

وهذه نظرات عابرة تكشف عن تاريخ اليهود ، وأخلاقهم وتعاليمهم ، وموقفهم من أنبياء الله ورسله في عهد القديم ، كما تكشف عن مدى أطماعهم ، وعن خطورة تجمعهم في العهد الحديث ، ولم نود التوسع فى هذا لأن التوسع يقتضى سفراً كبيراً ، ولكن أردنا إلقاء بعض الضوء على هذه الجوانب ، لكى تكون نبراساً يضيء لنا السبيل ، ويكشف لنا عن مدى الأخطار التى تتهددنا ، وتهدد هذا العالم ، من أن يترك هؤلاء يسيرون في تنفيد خطتهم وتحقيق سياستهم .

من هم اليهود

اليهود هم بنو إسرائيل ، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، وكان قبل المسيح بأقل من ألفى عام ، ويسمون أيضاً بالعبرانيين .

وكلمة إسرائيل مركبة من إسرا أي عبد أو صفوة أو مهاجر وايل بمعنى الله ، وهو لقب يعقوب عليه السلام .

ويذكر سفر التكوين [٣٢] أن الله ظهر في شكل إنسان ، ولم يقدر على التفلت منه حتى باركه ، فأطلقه وقال : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت .

وأبناؤه هم الأسباط هم : سلائل أولاد يعقوب العشرة و، سلائل ولدي ابنه يوسف ، فيكون عددهم اثنى عشر .

وأصلهم من الساميين ، ويبدأ تاريخهم بهجرة إبراهيم عليه السلام من مدينة أور إحدى مدن الكلدان القديمة في العراق ، وهي الآن تعرف باسم مغير ، وكان سبب هذه الهجرة الفرار من الأرض

التى تعبد فيها الأصنام ، والتى كان يقدسها أبو إبراهيم وأسرته .

واستقر إبراهيم أخيراً بحبرون التي تسمى الآن بالخليل ، وقد مات بها ودفن فيها ، وإبراهيم عليه السلام أنجب إسماعيل ، وكان من نسله العرب المستعربة ، كما أنجب إسحاق وهو والد يعقوب الملقب بإسرائيل ، وإليه ينسب الإسرائيليين .

وقد رحلوا إلى مصر فى عهد يوسف ، ومكثوا فيها أربعة قرون وتناسلوا وكثروا ، وقد لقوا من ملوك مصر اضطهاداً فأرسل إليهم موسى عليه السلام ، فأنقذهم من فرعون ، وهو على الأرجح رمسيس الثاني وابنه منفتاح الذي غرق .

ولما خرج موسى مع الإسرائيليين إلى الطور مكثوا فيه أربعين سنة ، وهناك أوحى الله إليهم شريعة التوراة إلا أنه لم يلبث أن مات موسى في التية ، وبعد وفاته تولى أمرهم فتاه يوشع بن نون ، وهو الذي دخل بهم أرض كنعان ، وهي الأرض المقدسة .

وكان يتولى أمورهم قضاة منهم ، ثم حدثت فتن أخرجتهم من ديارهم وأبنائهم بما استدعى أن يولوا عليهم ملوكاً منهم .

فكان أول ملك منهم طالوت ، ثم خلفه داود ، ثم جاء بعده ابنه سليمان ، وبعد سليمان انقسمت المملكة إلى دولتى إسرائيل ويهوذا ، وقد عاشت إسرائيل حوالى ٢٥٥ سنة ، كما عاشت يهوذا حوالى ٣٨٩ سنة .

ثم جاء البابليون والآشوريون فدمروها تدميراً ، فلم تقم لهم دولة بعد .

من أخلاقهم

لليهود أخلاق وصفات تميزوا بها عن غيرهم من الأمم والشعوب ، وهذه الأخلاق كانت السبب في سلوكهم الشائن ، وأعمالهم الذميمة ، مما ترتب عليه مقت الناس لهم ، بل اضطهادهم إياهم عبر القرون والأجيال ، ونذكر جملة من هذه الأخلاق فيما يلى :

أولاً : الزهو والاستعلاء وأصل هذا هو اعتقادهم أنهم شعب الله المختار ، وأن عنصرهم أسمى من العناصر الأخرى على حسب ما جاء فى تعاليم التلمود ، وقد رد القرآن الكريم عليهم هذا الزعم وأنهم بشر كسائر البشر ، وأن التمايز إنما يكون بالعمل النافع ، والعمل الصالح ، والأدب العالى وحسن الصلة بالله ، وتقديم النفع للناس .

يقول الله سبحانه وتعالى : **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ: فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾**

[سورة المائدة : ١٨] .

أى لو صح ما تقولون لما عذبكم ، وقد ثبت أن عذابه واقع بكم كغيركم من الناس .

ثانيًا : غرورهم وتعلقهم بكواذب الأمانى والآمال . وهذا الخلق مبني على الاعتقاد الأول ، فهم يزعمون أن الله سيغفر لهم جميع السيئات والمنكرات ، وأنهم ليسوا كغيرهم يحاسبون على الصغير والكبير .

يقول الله سبحانه : **﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِى الأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى[1] وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لا يَقُولُوا عَلَى الله إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾** [سورة الأعراف : ١٦٨ ، ١٦٩] .

والله سبحانه يقف من هذه الأمانى موقفًا حاسمًا إذ يقول :

---

(١) أن يأخذوا متاع الدنيا بطرق غير مشروعة .

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة : ١١١ ، ١١٢] .

ومثل هذا ما جاء في الآية : ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [سورة النساء : ١٢٣ ، ١٢٤] .

ثالثًا : الجبن والحرص على الحياة .

وأساس هذا الخلق ضعف العقيدة واضطرابها والاستغراق في النزعة المادية استغراقًا ، ملك عليهم نفوسهم وقلوبهم ، وجعلهم يحبون الحياة مهما كانت ، ويجبنون على التضحية ولو قلّت .

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا

﴿يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة : ٩٦] .

وهذا لا يمنع من أن يكون اليهود مهرة فى إثارة وتدبير المؤامرات ، والعمل من وراء ستار ، لأن ذلك لا يكلفهم أي تضحية .

وهذا الحق هو السبب المباشر فى أن الله سبحانه ضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا إذا كانوا فى حماية غيرهم من الأقرباء .

يقول الله سبحانه : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ[1] وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران : ١١٢] .

رابعاً : الإجرام والإفساد فى الأرض بالغدر وإفساد الخلق وإشعال الحروب وقتل الأنبياء والمصلحين .

---

(١) أى العهد والأساس على أداء الجزية .

يقول الله سبحانه : ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

[سورة المائدة : ٦٤] .

ويقول : ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾

[سورة البقرة : ١٠٠] .

ويقول : ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنفال : ٥٥] .

ويقول : ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [سورة المائدة : ٧٠] .

هذه هى الرذائل التى توارثتها اليهود جيلاً عن جيل ، وهى الرذائل التى جعلتهم ملعونين على ألسنة الأنبياء والرسل .

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ *

كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا
قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا
اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ
أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾

[سورة المائدة : ٧٨ : ٨٢] .

من تعاليم اليهود

إن التعاليم التى يقدمها اليهود وعلماؤهم تنضح بكل شر وحسبنا أن نذكر النصوص التى تمثل هذه التعاليم الفاسدة دون تعليق عليها ، فهى من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى أى تعليق .

رأى اليهود فى أنفسهم

١ – «اليهود أحب إلى الله من الملائكة وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه ، فمن يصفع اليهودى كمن يصفع الله» .

٢– التفرقة في العقوبة بينهم وبين غيرهم :

إذا ضرب أممى[1] إسرائيليًا يستحق الموت» . .

٣– بقاء الأشياء مرهون بوجود اليهود :

«ولو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن باقى المخلوقات أن تعيش» .

والفرق بين درجة الإنسان والحيوان ، هو الفرق بين اليهود وبين باقى الأممين .

٤– أصل الناس غير اليهود :

«إن النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجين ـ عن الديانة اليهودية ـ هى نطفة حصان» .

---

(١) الأممى كل إنسان غير يهودى .

«إن الكلب أفضل من الأجنبى ، لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب ، وليس له أن يطعم الأجنبى أو يعطيه لحماً بل يعطيه للكلب» .

٥- الجنة خاصة باليهود دون غيرهم :

«الشعب المختار فقط هو الذى يستحق فقط الحياة الأبدية ، وأما باقى الشعوب فمثلهم كمثل الحمير» .

٦- لماذا خلق الله الناس غير اليهود ؟

«إن الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة وإذا كان الأجنبى أى غير اليهودى - قد خلق على هيئة الإنسان ، فما ذلك إلا ليكون لائقاً لخدمة اليهود التى خلقت لأجلهم» .

٧- معاملتهم للناس :

«إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر . . أُقتل الصالح من غير الإسرائيليين ، ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من باقى الأمم من هلاك ، أو يخرجه من حفرة وقع فيها ، لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين» .

٨- تحريضهم على النهب :

«إن الله لا يغفر ذنبًا ليهودى يرد للأممى ماله المفقود ، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب» .

٩- ملك إسرائيل :

«وفي ذلك اليوم قطع الرب من إبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك : هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» .

١٠- أسلوب الحرب :

«حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك» .

وأن لم تسالمك ، بل عملت معك حربًا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى بدنك فاضرب جميع ذكورها بعد السيف ، وأما الأطفال والنساء والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمة فتغتنما لنفسك ، لا ترهب وجودهم ؛ لأن الرب إلهك إله عظيم ومخوف ، ولكن الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً لا

تستطيع أن تفتيهم سريعاً ، لئلا تكثر عليك وحوش البرية .

ويدفع الرب إلهك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً ، حتى يفنوا ويدفع ملوكهم إلى يدك ، فتمحوا اسمهم من تحت السماء ، والقاعدة التى جعلوها فى الحياة ، هى قاعدة التلمود القائلة :

(يلزم أن تكون طاهراً من الطاهرين ودنساً مع الدنسيين) .

هذه أفكار اليهود وتعاليمهم التى يحاولون أن يطبقوها ، وهى من أخطر التعاليم وأضرها بالمجتمع البشرى جميعه ، ولابد من مواجهة هذا الخطر باليقظة والوعى والإعداد .

تمرد الإسرائيليين وعقاب الله لهم

١- خص الله الإسرئيليين بالكثير من المزايا والنعم ، وأرسل إليهم الرسل ، ليوجهوهم وجهة الحق والخير والكمال ، وذكرهم نبيهم موسى عليه السلام بهذه المزايا ، يقول سبحانه : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا(١) وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة : ٢٠] .

٢- إلا أن طبيعة أكثر هؤلاء كانت طبيعة متمردة على الحق ، لا تهتم ولا تلتفت إليه ، فلم يحلفوا بهداية الأنبياء ، ولم يأخذوا أنفسهم بتعاليم ، الرسل بل ذهبوا فى اتباع أهوائهم مذاهب ، فأنزلوا بالأنبياء الآلام وقتلوا الرسل وسفكوا الدم الزكي ، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [سورة المائدة : ٧٠] .

٣- وكانت عقوبة الله لهم عقوبة معجلة فى الدنيا قبل

---

(١) إن الله جعلهم أحراراً بعد تخليصهم من العبوديات التي كانوا فيها أيام فرعون . إن الله جعل فيكم ملوكاً . فهل رعيتم النعمة ؟

الآخرة ، يقول الله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران : ٢١ ، ٢٢] .

٤- ولم تكن هذه العقوبة مقصورة على جماعة معينة من الإسرائيليين ، بل كانت عقوبة عامـة لهم ، ولمن بعدهم من أبنائهم ، الذين ورثوا عنهم الفسق والطغيان ، وساروا فى الطريق الذى سار فيه الأباء دون أن يغيروا من أنفسهم ويسمون بها إلى الكمال الإنسانى وبهذا فإن الله سبحانه يصدر حكمه عليهم ، إذ يقول : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الأعراف : ١٦٧] .

نماذج من تمردهم وعقوقهم على عهد موسى

كان تمرد الإسرائيليين واضحاً عبر القرون فى عهد نبيهم العظيم موسى ـ عليه السلام ـ الذى خلصهم من الظلم ، وأتى لهم بشريعة كاملة ، وظهر على يديه من المعجزات وخوارق العادات ما يدعو إلى الإيمان والإذعان لتعاليمه ، وانتزاع رواسب الوثنية من نفوسهم ، وهذه ألوان من التمرد :

١ ـ ما كاد موسى ـ عليه السلام ـ يخرج بقومه من البحر وينجون جميعاً من فرعون وجنوده ، ويرون بأنفسهم مصرع أعدائهم الطغاة الظالمين ، وتتجلى أمام أنظارهم آيات الله ، حتى إذا ما مروا على قوم يعبدون الأصنام ، طلبوا من موسى أن يجعل لهم أصناماً مثل هؤلاء القوم الوثنيين ، فعاتبهم موسى عتاباً شديداً ، وعجب من أمرهم كيف يجرءون على هذا الباطل ؟

يقول سبحانه مسجلاً هذه الخطيئة : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ[1] عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ

(١) أى يقومون على عبادتها .

قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ : أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف من الآيات : ١٣٨ - ١٤٠] .

٢- ويخرج موسى ـ عليه السلام ـ إلى الطور ويدع قومه فى كفالة أخيه هارون ، وكان موسى على موعد من ربه ليتلقى التوراة منه ، وفيها الشريعة وفيها الأوامر والنواهي ، التي يجب عليهم أن يأخذوا بها أنفسهم ، ليصلوا إلى المستوى الإنسانى الرفيع ، ويمكث موسى أربعين ليلة ، وفى أثنائها ينقلب هؤلاء على أعقابهم ، ويرتدون إلى الوثنية ، ويتخذون من حليهم عجلاً جسداً له خوار يعبدونه من دون الله ، ويتقربون إليه بكل أنواع القرب . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ

غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنْ بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ : ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ﴾ [سورة الأعراف : ١٤٨ : ١٥٢] .

٣- أراد بنو إسرائيل أن يعتذروا إلى الله عما فعلوه من عبادة العجل ، وأن يظهروا الندم على ما اقترفوه من إثم ، وأن يقدموا الطاعة والولاء للواحد الأحد . فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً ، وذهبوا إلى الطور في المكان الذي ناجى الله فيه نبيه موسى .

وهنالك كلم الله موسى ، إلا أن جماعة منهم لم يصدقوا موسى ـ عليه السلام ـ فى كلامه لله ومناجاته له ، فتمردوا على موسى ، وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة دون أن يحجبه عنا حجاب : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى

الله جهرةً فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ [سورة البقرة : ٥٥] .

ويقول : ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلمّا أخذتهم الرجفة قال ربّ لو شئت أهلكتهم من قبل وإيّاي أتهلكنا بما فعل السفهاء منّا﴾ [سورة الأعراف : ١٥٥] .

٤- لما جاءت شريعة الله إلى اليهود ، وجدوا فيها مالا يتفق ورغباتهم ، فوقفوا منها موقف اللدد والخصومة ، وأبوا أن ينزلوا على أحكامهم ، فهددهم الله بالاستئصال ، فرفع جبل الطور فوقهم كأنه ظلة وأمرهم أن يأخذوا بأحكام الله التى شرعها الله لهم ، فخافوا أشد الخوف ، وأظهروا الخضوع والإذعان ، فلما زال الخوف رجعوا إلى ما كانوا عليه من العصيان والاعتداء .

يقول الله سبحانه : ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون * ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين﴾ [سورة البقرة : ٦٣ ، ٦٤] .

٥- أمرهم موسى ـ عليه السلام ـ بدخول الأرض المقدسة،

فوقفوا من هذا الأمر موقف الجبان الرعديد ، مما جعل موسى يطلب مفارقتهم والبعد عنهم ، إذ تأكد لهم أن إصلاحهم بعيد ، وإن إنشاء أمة جديدة أهون من تربية هؤلاء العبيد ، وكان قد حرمها الله سبحانه في سورة المائدة :

﴿يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِى كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَتَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا : يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا : ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * قَالُوا : يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّى لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة المائدة : ٢٠ : ٢٥] .

اليهود وعيسى

وتتوالى القرون وتمر السنون ، والإسرائيليون على ما هم عليه من فساد فى العقيدة ، وانحطاط في الخلـق ، واعوجاج فى السلوك ، وانحراف عن شريعة الله وبُعد عن تعاليمه ، وكان أهم ما يرنيهم هو جمع المال والحرص عليه ، ولم يقتصر هذا الداء على السواد الأعظم منهم ، بل تجاوزه إلى علمائهم وأحبارهم ، الذين دأبوا على أكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله ، بتحريض العامة ودعوتهم إلى تقديم القرابين والنذور للهيكل ، كى يظفروا بمغفرة الله كما وسطوا الأحبار والرهبان بينهم وبين الله ، كى يغفر لهم الذنوب والخطايا ، وكان هذا الطابع المادى الذى صبغ نفوسهم وحياتهم الخاصة والعامة ، سبباً في انغماسهم فى الحياة المادية ، وشغفهم بمتع الحياة ، حتى إن بعضهم أنكر اليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب ، وكان الانغماس فى الحياة المادية دافعاً لهم إلى اقتراف الجرائم والتورط في الآثام مما كان سببا فى تحريم الطيبات عليهم عقوبة لهم : ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن

سبيل الله كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً﴾ [سورة النساء : ١٦٠ : ١٦١] .

٦- بعث عيسى ـ عليه السلام ـ وهم على هذا الحال وكان عليه إزاء ذلك أن يبين أمرين :

أولاً : أن يوجههم إلى الحياة الروحية بدلاً من الحياة المادية التى انغمسوا فيها .

ثانياً : أن يلغى الوساطة بين الله وبين عباده ، فباب الله مفتوح لكل من يطرقه لا يتوقف على راهب ولا حبر .

وأيده الله بمعجزات تقطع بأنه رسول الله ، ذكرها الله في قوله : ﴿ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقاً لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض

الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [سورة آل عمران : ٤٩ : ٥١] .

وطلب الحواريون منه معجزة أخرى فوق معجزة خلق الطير من الطين وإبراءه الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والإخبار بما هو مجهول من مطاعمهم وما يدخرون فطلبوا منه أن ينزل عليهم مائدة من السماء . يقول الله سبحانه : ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا ا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة المائدة : ١١٢ : ١١٥] .

٨- رأى اليهود أن أمر عيسى سيظهر ، وأن شأنه سيأخذ فى

العلو والارتفاع ، فتحركت فى أنفسهم الضغينة ، وحاولوا أن يوقعوا به فادعوا عليه الدعاوى الآتية :

* أنه يسعى فى إفساد الأمة .

* أنه يمنع أن يعطى الجزية لقيصر .

* أنه يدعى أنه مسيح ملك .

٩- وكانت هذه التهم من أسباب غضب بيلاطس حاكم فلسطين عليه ، فأمر بمحاكمته ، وتصور بعض الأناجيل المرحلة التى ، مر بها عيسى فى هذه الفترة ، ففى إنجيل متى بعد أن وصف القبض على عيسى وتسليمه إلى الوالى بيلاطس ما يأتى :

فقال الوالى للشعب : ماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح ؟

قال له الجميع : ليصلب .

فقال الوالى : وأى شر عمل ؟

فكانوا يزدادون صراخاً قائلين : يصلب .

فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيء بل بالحرى يحدث شعب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً : إنس برىء من دم هذا

البار ، أبصروا أنتم ، فأجاب جميع الشعب ، وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ جلد الوالى يسوع وأسلمه للصلب ، فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة بمفردة ، وألبسوه رداءًا قرمزيًا دفروا إكليلاً من شوك ، ووضعوه على رأسه وقصبة فس يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام عليك ملك اليهود ، وبصقوا فى وجهه ، وأخذوا القصبة وشربوه على رأسه وبعد ما استهزءوا به ، نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ، ومضوا به إلى الصلب ، وأعطوه خلا ممزوجًا بمرارة ليشرب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب .

هذه هس رواية الإنجيل . والقرآن يذكر أن المصلوب هو غير عيسى .

ولم يكن إيذاؤهم لعيسى وحده ، وإنما تعدى إيذاؤهم إلى الطاهرة الصديقة مريم ، واتهموها بأقبح ما يتهم به إنسان ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : **﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ۞**

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء : ١٥٥ : ١٥٨] .

مناوأة اليهود للإسلام والمسلمين

١ – وتمر الأيام والأعوام ، ويرسل الله رسوله محمداً ﷺ فى مكة المكرمة برسالة عامة شاملة لهداية الناس جميعاً إلى الله وإلى المنهج القويم ، الذى يصل بالبشر إلى أقصى ما قدر لهم من كمال مادى وأدبى . ولكن قومه الوثنيين يعرضون عن دعوته ، ويصدون عنها ويضطهدون الرسول ومن آمن معه مما حمل الرسول على أن يهاجر بدعوته إلى المدينة .

٢ – وفى المدينة يلتقى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ باليهود ، فكان أول عمل عمله أن مد يده الحانية إليهم ، فذكر نبيهم أحسن الذكر ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً﴾ [سورة مريم : ٥١ : ٥٣] وأثنى على نبيهم أجمل ثناء :

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ

شُهَدَاءَ﴾ [سورة المائدة : ٤٤] .

وذكرهم بما مَنَّ الله عليهم من جلائل النعم :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ [سورة الجاثية : ١٦ ، ١٧] .

وتبادل معهم المودة والصلاة الطيبة ، وعقد بينهم وبين المؤمنين معاهدة أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم وسائر حقوقهم الدينية والمدنية .

٣- وكان الغاية من ذلك كله ، أن يتعاون اليهود مع الإسلام باعتبارهم أهل الكتاب لهم دين وكتاب ونبي وتوحيد وشريعة على محاربة الوثنية واستئصالها والقضاء عليها .

٤- إلا أن اليهود ما كادوا يرون ظهور الإسلام ، حتى بدأت فتنتهم بسبب الحسد وانطوائهم على اللؤم والمخادعة والخيانة والخسة ، إذ أن هذه الصفات راسخة فيهم ولهذا وصفتهم التوراة «بالشعب الغليظ الرقبة» ووصفهم الإنجيل «بالخرف الضالة» وقال

يحي فيهم «يا أبناء الأفاعى» .

وقال فيهم القرآن وهو من أبلغ ما يوصف به أشرار الناس : **﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** [سورة المائدة : ٦٠] .

٥- وكانت أن بدأت حرب الأعصاب ، وكان من مظاهرها :

* إشاعة السوء عن المسلمين .

* إظهار الشماتة بهم .

* الدس بالمشاركة مع المنافقين .

وقد اهتم القرآن بهذه الحرب وذكر منها ألوانًا متعددة ، صورتها الآيات القرآنية أجمل تصوير .

وقد انتهت هذه الحرب المريرة بإتجاه الإسلام إلى التخلص منهم نهائيًا بعد الحروب المسلحة ، التى انتهت بانتصار حاسم ، فمنهم من قتل ومنهم من أجلى عن جزيرة العرب **﴿هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ**

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر : ٢] .

الفهـــــرس

منشـــورات الــدار

فقه السنة	الشيخ السيد سابق
العقائد الإسلامية	الشيخ السيد سابق
دعوة الإسلام	الشيخ السيد سابق
عناصر القوة في الإسلام	الشيخ السيد سابق
إسلامنا	الشيخ السيد سابق
مناسك الحج والعمرة	الشيخ السيد سابق
خصائص الشريعة الإسلامية	الشيخ السيد سابق
مصادر الشريعة الإسلامية	الشيخ السيد سابق
اليهود في القرآن	الشيخ السيد سابق
الصلاة والطهارة والوضوء	الشيخ السيد سابق
الردة	الشيخ السيد سابق
تقاليد يجب أن تزول منكرات الأفراح	الشيخ السيد سابق
المرأة في عصر الرسالة	د . عبد العظيم المطعنى
تغيير المنكر	د . عبد العظيم المطعنى
المسيح الدجال	سعيد أيوب
عمر والخراج	د . محمد لاشين
نور اليقين	المرحوم محمد الخضرى
الدواء في الحبة السوداء	د . سيد الجميلي
عقيدة الصلب والفداء	محمد رشيد رضا
إنجيل برنابا	ترجمة خليل سعادة
الأحاديث القدسية	نخبة من العلماء
الأربعين النووية	الإمام النووى
رياض الصالحين	الإمام النووى
قبس من الهدى النبوى	فؤاد محمود

دار الفتح للإعلام العربى

٣٢ ش الفلكى - باب اللوق - القاهرة ت :